مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at: http://scientific-journal.sustech.edu/

منهج الإمام أنور شاه الكشميري في كتابه "إكفار الملحدين في ضروريات الدين" والإفادة منه في مناقشة الإلحاد المعاصر

د.هنادي عيسى عبد المحمود عيسى[*]

المستخلص

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل المنهج العقدي والعلمي للإمام أنور شاه الكشميري في كتابه "إكفار الملحدين في ضروريات الدين"، بوصفه أحد أهم المؤلفات التي واجهت نزعات الإلحاد والإنكار في الفكر الإسلامي الحديث. ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن الأسس التي بنى عليها الكشميري رؤيته في الرد على الإلحاد، وتوضيح كيفية الإفادة من منهجه في مناقشة الإلحاد المعاصر الذي اتخذ أشكالًا فلسفية ومادية وعلمية جديدة. ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، من خلال تتبّع نصوص الكشميري وتحليلها، ثم مقارنتها بالمناهج الفكرية الحديثة في مناقشة الإلحاد، مع محاولة إبراز القيمة المعرفية والبرهانية لمنهجه في السياق الفكري المعاصر. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أنّ منهج الكشميري يتميز بتكامل العقل والنقل، وضبط مفاهيم الإيمان والكفر بضابط "ضروريات الدين"، وأنه يصلح أساسًا لإقامة خطاب علمي متزن في مواجهة الإلحاد الحديث، بعيدًا عن الغلو والتساهل، جامعًا بين البرهان العقلي والنص الشرعي.

ABSTRACT

This study examines and analyzes the theological and methodological approach of Imam Anwar Shah al-Kashmiri in his work *Ikfār al-Mulḥidīn fī Ḍarūriyyāt al-Dīn* (Excommunicating Atheists Regarding the Necessities of Religion), considering it one of the most significant contributions addressing atheistic and denialist trends in modern Islamic thought. The research aims to uncover the foundational principles upon which al-Kashmiri constructed his response to atheism and to demonstrate how his methodology can be utilized in addressing contemporary forms of atheism, which have evolved into philosophical, materialistic, and scientific expressions. The study adopts a descriptive, analytical, and comparative approach by examining al-Kashmiri's texts, analyzing their underlying arguments, and comparing them with modern intellectual approaches to atheism. It further seeks to highlight the

[*] قسم الدراسات الإسلامية– كلية الآداب – جامعة البحر الأحمر

epistemological and argumentative value of his methodology within the contemporary intellectual context. The main findings indicate that al-Kashmiri's approach is characterized by an integration of reason and revelation, and by a precise regulation of the concepts of faith and disbelief through the framework of the "necessities of religion." His methodology provides a solid foundation for developing a balanced and rigorous intellectual discourse capable of addressing modern atheism, avoiding both extremism and laxity, and effectively combining rational argumentation with scriptural evidence.

الكلمات المفتاحية:

الفكر العقدي – المنهج العلمي – العقل والنقل.

المقدمة

الحمد لله الذي رفع بالعلم قدر العلماء، وجعلهم حصون العقيدة وأنوار اليقين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمدٍ بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تواجه الأمة في العصر الحديث موجة متجددة من الإلحاد بأشكاله المختلفة، تتراوح بين الإلحاد العلمي القائم على التجريبية، والإلحاد النفسي المتأثر بالوجودية والعدمية، والإلحاد العلمي الذي ينكر دور الدين في حياة الإنسان. هذه الظاهرة الفكرية المعاصرة تختلف في أدواتها ومناهجها عن الإلحاد الفلسفي التقليدي، مما يفرض الحاجة الى منهج علمي متين يجمع بين العقل والنقل للرد عليها بشكل مقنع وراسخ.

وفي هذا السياق يبرز اللإمام أنو رشاه الكشميري كأحد العلماء الذين وضعوا منهجا متوازنًا يجمع بين التحليل العقلي المستدل والمنهج النقلي الدقيق، خاصة في كتابه "إكفار الملحدين في ضروريات الدين" الذي يعالج قضايا الضروريات العقدية ويضع اطارًا لتصحيح المفاهيم المتعلقة بالإيمان والكفر.

ومن هنا تنبثق **مشكلة البحث** في تحديد الأسس المنهجية والعقلية التي اعتمدها الكشميري في مواجهة الإلحاد، وكيفية الاستفادة من المنهج في معالجة الإلحاد المعاصر فكريًا وعلميًا، بما يسهم في بناء خطاب إيماني عقلاني متوازن يوازن بين ثوابت النصوص الشرعية ومتطلبات العقل السليم.

أسئلة البحث: تتمحور في السؤال الرئيس:

* ما الأسس المنهجية والعقلية التي اعتمدها الإمام الكشميري في كتابه "**إكفار الملحدين في ضروريات الدين**"، وكيف يمكن الإفادة من هذا المنهج في الرد على الإلحاد الحديث فكريًا وعلميًا؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية:

1. ما طبيعة الإلحاد في عصر الكشميري، وكيف تناول الكتاب جذوره ومظاهره؟
2. ما المفاهيم والمصطلحات العقدية التي أسس عليها الكشميري منهجه في الرد على الملحدين؟
3. ما أوجه التشابه والاختلاف بين الإلحاد القديم والإلحاد المعاصر؟
4. كيف يمكن توظيف منهج الكشميري في بناء خطاب إيماني عقلاني متزن يواجه الإلحاد الحديث؟

وتتجلى **أهمية:** البحث في الآتي:

- إبراز قيمة التراث العقدي الإسلامي في مواجهة الفكر الإلحادي الحديث.
- بيان شمول منهج الإمام الكشميري وقدرته على مواكبة الأسئلة الفلسفية والعلمية الجديدة.
- تقديم نموذج علمي رصين يجمع بين الأصالة والتجديد في الخطاب العقدي المعاصر.

أهداف البحث فهي:

1. تحليل منهج الكشميري في كتابه إكفار الملحدين.
2. الكشف عن معالم التكامل بين العقل والنقل في منهجه.
3. ربط هذا المنهج بالواقع الفكري المعاصر.
4. اقتراح سبل عملية لتوظيفه في الرد على شبهات الإلحاد الحديث.

منهج البحث: يعتمد على التحليل النصي والمقارنة المنهجية بين الفكر العقدي الإسلامي الكلاسيكي وتمثله في منهج الكشميري، وبين الفكر الإلحادي الحديث في مظاهره الفلسفية والعلمية والنفسية.

كما يوظف البحث **المنهج** الوصفي التحليلي لاستقراء النصوص العقدية من كتاب إكفار الملحدين، وربطها بمناهج المتكلمين والفلاسفة المسلمين، ومقارنتها بالخطاب الإلحادي المعاصر في الفكر الغربي والعربي.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى:

عنوان الدراسة: جهود الإمام أنور شاه الكشميري في السنة وعلومها.

هدف الدراسة: هدفت الدراسة إلى إبراز جهود الإمام أنور شاه الكشميري في خدمة السنة النبوية وعلوم الحديث، وتحليل منهجه العلمي في الاستدلال والتفسير.

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، من خلال دراسة مؤلفات الكشميري الحديثية وتحليل طريقته في الاستدلال والاستنباط.

أهم النتائج:

- تميّز الكشميري بمنهج يجمع بين الرواية والدراية.
- اعتماده على التحليل العقلي في فهم النصوص الحديثية.
- امتلاكه قدرة على الربط بين النصوص الشرعية والقضايا الفكرية.

أهم التوصيات:

- ضرورة دراسة منهج الكشميري في بقية العلوم الشرعية، خاصة العقيدة.
- الإفادة من منهجه في تطوير الدراسات الحديثية المعاصرة[1].

لم تتناول هذه الدراسة مسألة التكفير ولا كتاب اكفار الملحدين تحديدا.

الدراسة الثانية:

عنوان الدراسة: الشيخ محمد أنور شاه الكشميري محدثًا "رسالة دكتوراه".

هدف الدراسة: دراسة شخصية الكشميري العلمية ومنهجه في العلوم الشرعية، مع إبراز مكانته بين علماء عصره.

منهج الدراسة: المنهج التحليلي التاريخي.

أهم النتائج:

1- يُعد الكشميري من كبار علماء الحديث في العصر الحديث .

2- جمع بين علوم متعددة (حديث، فقه، عقل) .

3- امتاز بمنهج علمي متكامل .

أهم التوصيات:

4- ضرورة دراسة جوانب فكره العقدي بشكل مستقل[2].

(1) محمد شكيب قاسمي(2016م)جهود الإمام أنور شاه الكشميري في السنة وعلومها: دراسة تحليلية نقدية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور.

(2) محمد زيد ملك(2006م) الشيخ محمد أنور شاه الكشميري محدثًا، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

الإضافة العلمية لهذا البحث:

يتبين من هذه الدراسات أنها ركزت على:

1. الجوانب الحديثية والعلمية في شخصية الكشميري.
2. عرض عام لإسهاماته الفكرية.

لكنها لم تُعالج بصورة مباشرة ومتكاملة:

- الربط بين منهج الكشميري والإلحاد المعاصر تحديدًا.
- تحليل "ضروريات الدين" كأداة منهجية في مواجهة الإلحاد الحديث.
- الدراسة المقارنة بين الإلحاد القديم والمعاصر في ضوء منهجه.

ومن هنا تأتي إضافة هذا البحث، حيث:

1- يقدّم قراءة منهجية تطبيقية.

2- ويحوّل فكر الكشميري من دراسة تراثية إلى أداة معاصرة في مواجهة الإلحاد.

خطة البحث تحتوي على أربعة مباحث رئيسة:

- الإطار النظري: التعريف الإمام الكشميري وكتاب إكفار الملحدين، ومفهوم الإلحاد.
- المنهج العلمي والعقدي في الكتاب.
- المقارنة بين الإلحاد القديم والمعاصر.
- الإفادة من منهج الكشميري في مواجهة الإلحاد الحديث.

المبحث الأول: الإطار النظري للبحث

المطلب الأول: الإمام أنور شاه الكشميري – سيرته ومكانته العلمية

يُعدّ الإمام أنور شاه الكشميري أحد أبرز علماء الهند في القرن الرابع عشر الهجري، وأحد أئمة مدرسة ديوبند العريقة التي أسهمت في تخريج كبار علماء الحديث والفقه في شبه القارة الهندية.

وُلد في قرية بدوده من أعمال كشمير سنة(1292هـ- 1875م) في أسرة علمية عُرفت بالتمسك بالدين والعلم، وتلقى مبادئ العلوم على والده الشيخ معظم شاه الكشميري، ثم ارتحل إلى "دار العلوم ديوبند"، حيث نهل من علوم الحديث والفقه والتفسير على أيدي كبار العلماء، ومن أبرزهم الشيخ محمود حسن الديوبندي المعروف بـ"شيخ الهند"[1].

(1) اللكنوي، عبدالحي(1999م) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 422.

امتاز الإمام الكشميري بذكاء خارق وحافظة نادرة، حتى وصفه تلاميذه بأنه "مكتبة تمشي على قدمين"[1]. لم يكن مقلِّدًا جامدًا، بل جمع بين عمق الفهم الفقهي والتحقيق الحديثي والتحليل العقلي، مما جعل منه نموذجًا للعالم الموسوعي الذي يوازن بين النقل والعقل.

تولى التدريس في عدد من المدارس الإسلامية الكبرى، ثم عُيّن شيخًا للحديث في دار العلوم ديوبند، فدرّس "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" عقودًا طويلة، وتأثر به مئات العلماء من الهند وخارجها.

كان الإمام الكشميري معروفًا بمواقفه الفكرية الحازمة في مواجهة التيارات المنحرفة التي انتشرت في عصره، مثل القاديانية التي أنكرت ختم النبوة، والاتجاهات الباطنية التي حاولت تأويل النصوص الشرعية تأويلًا باطنيًا يهدم أصول الدين.

ومن أبرز مؤلفاته: فيض الباري على صحيح البخاري، العرف الشذي على سنن الترمذي، وكتابه الأهم في مجال العقيدة: إكفار الملحدين في ضروريات الدين[2].

وقد أجمع العلماء الذين عاصروه على مكانته العلمية، فقال عنه الشيخ أشرف علي التهانوي:

"هو من أولئك الأعلام الذين جمعوا بين معرفة الحديث ودقّة النظر في العقيدة، وقوة الحجة في الجدال العقدي"[3].

توفي الإمام الكشميري سنة(1352هـ- 1933م)، بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والجهاد الفكري، وترك تراثًا علميًا زاخرًا يمثل امتدادًا لمناهج علماء السلف في مواجهة الإلحاد والزندقة.

المطلب الثاني: كتاب "إكفار الملحدين في ضروريات الدين" – موضوعه ومكانته

يُعدّ كتاب "إكفار الملحدين في ضروريات الدين" من أهم مؤلفات الكشميري في باب العقيدة والفكر الإسلامي، وقد ألّفه استجابةً لسؤالٍ وُجّه إليه حول حكم من ينكر بعض المسائل المعلومة من الدين بالضرورة. جاء الكتاب في حجم صغير نسبيًا، لكنه احتوى على منهج متكامل لتحديد ضوابط الإيمان والكفر، وتوضيح المفهوم الدقيق لما يُسمّى "ضروريات الدين"[4].

أولًا: سبب التأليف

(1) أبو الحسن الندوي، علي(1999م) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم، دمشق، ص 317.

(2) الكشميري، أنور شاه(1415هـ) إكفار الملحدين في ضروريات الدين، مطبعة دار العلوم، باكستان، ص7.

(3) التهانوي، أشرف علي(1930م) التوطئة في بيان التوحيد، دار العلوم ديوبند، الهند، ص14.

(4) مرجع سابق- إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص11.

ألّف الكشميري الكتاب في زمنٍ كثرت فيه الشبهات الفكرية، خصوصًا من بعض المنتسبين إلى الإسلام الذين حاولوا إعادة تفسير الثوابت الشرعية تأويلًا عقليًا يتنافى مع النصوص القطعية.

وكان القصد من الكتاب وضع ميزان علمي يضبط باب التكفير، ويحفظ للأمة أصولها العقدية من التحريف أو التمييع.

ثانيًا: منهج الكتاب

اعتمد الكشميري في كتابه على ثلاثة أركان منهجية رئيسة:

1. الاستدلال بالنقل من القرآن والسنة والإجماع، إذ كان يرى أن النصوص القطعية هي المرجع الأعلى في تقرير العقيدة.
2. تسخير العقل لخدمة النقل، فهو لا يرفض البرهان العقلي، بل يعتبره أداة لفهم النصوص وإثبات صدقها.
3. نقل أقوال الأئمة المتقدمين في توضيح المفاهيم العقدية الكبرى، وهو ما سماه "غرر النقول"، مثل استشهاده بقول الإمام مالك: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة"[1].

ثالثًا: مكانة الكتاب العلمية

نال الكتاب ثناء كبار علماء الهند آنذاك، حيث قرّظه عدد منهم، مثل الشيخ كفاية الله الدهلوي والشيخ شبير أحمد العثماني. وقد اعتُبر الكتاب نموذجًا يجمع بين التحقيق العقدي والصرامة المنهجية، حتى قال عنه أحد تلامذته:

"لم يكن كتابًا في الرد على الإلحاد فحسب، بل في تأسيس منهج علمي يزن الإيمان بميزان الشرع والعقل معًا"[2].

المطلب الثالث: مفهوم الإلحاد – جذوره وتطوره ومظاهره المعاصرة

أولًا: الإلحاد في اللغة والاصطلاح

الإلحاد في اللغة مأخوذ من الجذر (لحد) أي مال عن الشيء وعدل عنه. ومنه اللحد في القبر لأنه مائل عن الوسط[3].

(1) المرجع سابق– ص28.

(2) مرجع سابق– رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص331.

(3) ابن فارس، أحمد(192م) مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ص242.

أما اصطلاحًا:

تعددت تعريفات الإلحاد اصطلاحًا باختلاف السياقات الفكرية والعقدية إلا أنها تدور جميعًا حول معنى الانحراف عن الإيمان بالله تعالى وإنكار الغيب أو بعضه، ومن أبرز هذه التعريفات:

عرفه بعض علماء العقيدة بأنه "الميل عن الحق بإنكار وجود الله تعالى وانكار ما يجب له من صفات الكمال، أو انكار ما ثبت من الدين بالضرورة"[1].

وعرف بعض الباحثين المعاصرين الإلحاد بأنه: "موقف فكري يقوم على إنكار وجود خالق، ورفض أي مرجعية غبية في تفسير الكون والحياة والإنسان"[2].

وعرف بأنه مذهب فكري يفسر الوجود تفسيرًا ماديًا بحتًا، ويرفض الإعتراف بأي وجود فوق طبيعي[3].

ويمكن صياغة تعريف جامع للإلحاد في ضوء ما سبق فيعرف بأنه" موقف فكري أو عقدي يقوم على إنكار وجود الله أو إنكار ما يثبت له من صفات الكمال، أو رفض الوحي والغيب، تفسير الوجود تفسيرًا ماديًا صرفًا دون مرجعية إلهية.

وقد عبّر العلماء عن الملحد بعدة مصطلحات قريبة: الدهري، الزنديق، المعطّل، مع اختلاف جزئي في الدلالات.

ثانيًا: الإلحاد القديم – الفلسفي والدهري

نشأ الإلحاد في الفكر الإنساني القديم على يد فلاسفة الدهرية الذين زعموا أن العالم أزليٌّ لا مبدأ له، وأن الحوادث تجري بالصدفة والطبيعة. وقد أشار القرآن إلى هذه النزعة بقوله تعالى:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية: 24. وهؤلاء هم الذين سماهم العلماء "الدهريون"، وكان ردّ الإسلام عليهم قائمًا على إثبات الخلق والإرادة الإلهية والبعث والنشور.

ثالثًا: الإلحاد الحديث – المادي والعلموي

أما الإلحاد في العصر الحديث فقد ارتبط بثلاثة تيارات فكرية كبرى:

1. الإلحاد الفلسفي مع نيتشه وهيوم وسبينوزا الذين أنكروا الوحي واستبدلوا به العقل المطلق.

(1) مرجع سابق، اكفار الملحدين، ص11.

(2) العمر، ناصر بن سليمان(2019م) الإلحاد المعاصر: أسبابه، مظاهره، وسبل مواجهته، مركز تكوين، الرياض، ص23.

(3)المسيري، عبد الوهاب(2006م) رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر، القاهرة، دار الشروق، ص27.

1- الإلحاد العلمي (العلموية) الذي ظهر في القرن التاسع عشر مع داروين وفرويد وماركس، إذ زعم أن العلم التجريبي قادر على تفسير الوجود دون حاجة إلى إله[1].

2. الإلحاد النفسي والوجودي في القرن العشرين، الذي ركّز على تمجيد الإنسان واعتباره مصدر القيم والمعنى، ورفض فكرة الخضوع لأي مرجعية إلهية، والتأكيد على حرية الإنسان المطلقة في تحديد مصيره، في ظل غياب الغاية الموضوعية للوجود[2].

رابعًا: الإلحاد في العالم الإسلامي المعاصر

شهد العالم الإسلامي منذ مطلع القرن العشرين تصاعدًا في مظاهر الإلحاد نتيجة الاستعمار الثقافي، والعلمنة، والفراغ الديني. وقد ساهمت وسائل الإعلام الرقمية في نشر الخطاب الإلحادي في المجتمعات العربية، خاصة بين الشباب المتعلم. ويتميّز الإلحاد العربي المعاصر بأنه ليس فلسفيًا خالصًا، بل يتغذى من أزمات اجتماعية ونفسية وسياسية[3].

خامسًا: مواجهة الإسلام للإلحاد

واجه الإسلام الإلحاد منذ نشأته بأدوات متنوعة:

- البرهان العقلي: كما في قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء: 22.
- البرهان الفطري: إذ يؤكد القرآن أن معرفة الخالق أمر فطري مركوز في النفس الإنسانية.
- البرهان العلمي: من خلال التأمل في النظام الكوني الدقيق الدال على الحكمة والإرادة.

وهذه الأدلة الثلاثة تشكل الأساس الذي انطلق منه الإمام الكشميري في بناء منهجه في الرد على الإلحاد، وهو ما يميّز كتابه عن كثير من الردود الكلامية التقليدية.

وبهذا يتضح أن الإمام الكشميري يُعدّ من كبار المصلحين والعلماء الذين جمعوا بين علوم النقل والعقل، وقدّم في كتابه إكفار الملحدين نموذجًا متكاملًا لردّ الشبهات العقدية. ويمثل الإطار النظري للبحث أساسًا لفهم منهجه العلمي، وكيفية استثماره في مناقشة الإلحاد المعاصر الذي يجمع بين الماديدة والعلموية والنزعة الفردانية.

---

(1) مرجع سابق- رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر، ص27.

(2) بدوي، عبدالرحمن(1980م) دراسات في الفلسفة الوجودية، دار الثقافة، بيروت، ص132، 135،، زكربا فؤاد(1983م) التفكير العلمي، عالم المعرفة، القاهرة، ص 201،، مرجع سابق- رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر، ص 45.

(3) مرجع سابق- الإلحاد المعاصر: أسبابه، مظاهره، وسبل مواجهته، ص58.

المبحث الثاني: المنهج العلمي والعقدي للإمام أنور شاه الكشميري في كتابه "إكفار الملحدين في ضروريات الدين"

توطئة

يمثل كتاب "إكفار الملحدين في ضروريات الدين" خلاصة نضج فكري وعقدي بلغها الإمام أنور شاه الكشميري بعد عقودٍ من الاشتغال بالتدريس والبحث والنقاشات الفكرية في شبه القارة الهندية.

وقد ألّفه في مرحلةٍ كانت الأمة الإسلامية تعيش فيها تحولات فكرية عميقة، تمثلت في صراعٍ بين التيار الديني المحافظ والتيار العقلاني التغريبي الذي تأثر بالفكر الغربي.

من هنا، جاء هذا الكتاب كصرخة علمية تدعو إلى تحرير مفهوم الإيمان والكفر من الفوضى الفكرية، وضبطه بضوابط الشرع والعقل معًا.

ويُظهر تحليل الكتاب أنّ الإمام الكشميري لم يكن يهدف إلى مجرد الرد على المنكرين، بل إلى تأسيس منهجٍ متكاملٍ في علم العقيدة والمناظرة الفكرية، يقوم على تكامل النقل والعقل.

المطلب الأول: الأسس النقلية في منهج الإمام الكشميري

يؤكد الكشميري في كل صفحات كتابه أن المرجع الأعلى في تقرير العقائد هو النص الشرعي، سواء أكان من القرآن الكريم، أو من السنة النبوية الصحيحة، أو من الإجماع الثابت.

وقد بنى منهجه على عددٍ من القواعد النقلية الرئيسة:

أولًا: القرآن الكريم مصدر اليقين العقدي

يرى الكشميري أنَّ القرآن الكريم هو "المصدر الأول للمعرفة العقدية"، لأنه كلام الله المعصوم، وقد اشتمل على براهين عقلية وفطرية تدل على وجود الله ووحدانيته، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ الطور: 35. ويعلّق الكشميري على هذه الآية قائلًا: "هي برهان جامعٌ لكل عاقل، لأنها تستحضر سؤال الوجود في ذاته، فليس للإنسان مهرب من الإقرار بوجود الخالق إلا بالمكابرة"[1].

وقد اعتمد الإمام منهج الاستدلال القرآني في بناء الحجة، فكان يعرض الشبهة ثم يرد عليها بالدليل النصي المؤيَّد بالبرهان العقلي، دون فصلٍ بينهما، مما يعكس نضجًا معرفيًا يجمع بين النقل والتفكر.

(1) مرجع سابق– إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص22.

ثانيًا: السنة النبوية وإجماع الأمة

أكّد الكشميري أن السنة النبوية تُعدّ الشارحة والمبينة لمعاني القرآن الكريم، وأنها مصدر من مصادر القطع في العقيدة، خصوصًا الأحاديث المتواترة.

ومن الأمثلة التي يوردها:

– "من أنكر ما تواتر من السنة في باب الغيبيات كعذاب القبر أو رؤية الله في الآخرة، فقد أنكر ضروريات الدين"[1].

– كما اعتمد على الإجماع بوصفه مبدأً حاكمًا يمنع الفوضى الفكرية، معتبرًا أن مخالفة الإجماع في الضروريات تعد انحرافًا عن سبيل المؤمنين.

المطلب الثاني: الأسس العقلية والمنطقية في منهج الإمام الكشميري

لم يكن الكشميري مقلّدًا للنصوص، بل كان عقلانيًّا منضبطًا يرى في العقل أداة لفهم الوحي، لا حاكمًا عليه. ومن خلال تحليل نصوصه، تتضح أبرز معالم منهجه العقلي فيما يأتي:

أولًا: تكامل العقل والنقل

يقرر الكشميري أن العقل الصحيح لا يمكن أن يتعارض مع النقل الصريح، لأن كليهما من عند الله تعالى.

ويقول في مقدمة كتابه:

"العقل مصباح النص، والنص قيد العقل، فلا غنى لأحدهما عن الآخر"[2]. هذا المبدأ يجعله قريبًا من منهج ابن تيمية في كتاب درء تعارض العقل والنقل[3]، مع فارق في التطبيق والمصطلحات، إذ وظّف الكشميري هذا التوازن في الرد على الإلحاد المعاصر لعصره.

ثانيًا: المنهج الجدلي البرهاني

يتميز أسلوب الكشميري بالجدل العلمي الهادئ القائم على البرهان لا على الخصومة.

فهو يبدأ بعرض الشبهة عرضًا أمينًا، ثم يفنّدها خطوةً بخطوةٍ بمنطقٍ متماسك.

على سبيل المثال، حين يرد على القائلين بأن "الدين يناقض العقل"، يوضح أن العقل لا يستقل بمعرفة الغايات النهائية، وأن الوحي هو المكمّل للعقل الإنساني، لأن العقل محدود بالزمان والمكان[1].

---

(1) المرجع السابق– ص34.

(2) المرجع السابق، إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص9.

(3) ابن تيمية، تقي الدين(1401هـ) درء تعارض العقل والنقل، ج1، تحقيق محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام، ص 58.

ثالثًا: اعتماد البراهين الكونية والوجودية

من خصائص منهجه أيضًا استخدام البرهان الكوني في الرد على الملاحدة، وهو البرهان القائم على النظام الدقيق في الكون.

وقد قال: "لو لم يكن للكون خالق مدبّر، لما استقام نظامه ولما انضبطت قوانينه، فالعقل السليم لا يقبل صدفةً في نظامٍ لا يتغيّر"[2]. هذا الاستدلال يوازي ما عُرف في الفلسفة الغربية بـ"دليل التصميم"، وهو مما يُظهر انفتاح منهجه على المنطق الفلسفي دون إخلالٍ بثوابته الشرعية. **المطلب الثالث: مفهوم "ضروريات الدين" وضبطه لمعيار الإيمان والكفر**

يعدّ مفهوم "ضروريات الدين" المحور المركزي في فكر الكشميري ومنهجه في التكفير والرد على الإلحاد. ويُعرّفها بقوله: "هي الأمور التي علمها المسلمون من دينهم بالبداهة، كوجوب الصلاة وتحريم الخمر، مما لا يحتاج إلى نظرٍ أو استدلالٍ، لأنها معلومة من الدين بالضرورة"[3].

أولًا: دلالة المفهوم

يرى الكشميري أن الإيمان يقوم على أمرين:

- تصديق القلب بكل ما جاء به النبي ﷺ مما هو من ضروريات الدين.
- القبول والانقياد الظاهر لهذه الضروريات.

فمن أنكر شيئًا منها بعد العلم به، فقد خرج عن الملة، لأنه أنكر أصلًا معلومًا من الدين[4].

ثانيًا: ضبط التكفير في ضوء هذا المفهوم

من أبرز القواعد التي وضعها الكشميري:

1- لا يُكفَّر أحدٌ بقولٍ أو فعلٍ إلا بعد قيام الحجة ووضوح البيان.

2- لا يصح الحكم بالكفر بناءً على الظنون أو التأويلات.

3- الكفر لا يكون إلا بإنكار الضروري بعد العلم بثبوته.

---

(1) مرجع سابق- إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص42.

(2) المرجع السابق- ص47.

(3) المرجع السابق- إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص11.

(4) المرجع السابق- ص11.

بهذا المنهج الوسط، واجه الكشميري الغلو في التكفير من جهة، والتساهل في حفظ العقيدة من جهة أخرى. وقد دعا إلى "التحقيق لا التسرع" في الأحكام العقدية، معتبرًا أن ضبط باب الإيمان والكفر ضرورة لحماية المجتمع من الانقسام[1].

ثالثًا: علاقة "ضروريات الدين" بمسائل الإلحاد

يعتبر الكشميري أن الإلحاد هو الإنكار الكلي للضروريات، سواء أكانت ضرورات عقلية أم نقلية.

فالملحد في رأيه ليس فقط من ينكر وجود الله، بل كل من ينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالوحي أو النبوة أو البعث. وهذا التصور يجعل من مفهوم "ضروريات الدين" إطارًا علميًا واسعًا يضم الرد على الإلحاد، والكفر، والبدع الاعتقادية.

المطلب الرابع: السمات المنهجية المميزة لخطاب الكشميري العقدي

يمكن تلخيص السمات الكبرى لمنهج الإمام الكشميري في النقاط الآتية:

1. **الجمع بين الأصالة والمعاصرة:** فهو ينهل من تراث السلف، لكنه يوظفه في معالجة مشكلات فكرية معاصرة لعصره، مثل تأويل النصوص وإشكالية العلاقة بين الدين والعقل.
2. **الصرامة المنهجية والانضباط العلمي:** إذ يحرص على التوثيق والنقل عن كبار الأئمة، ويؤكد أن أي اجتهادٍ لا يستند إلى نصٍ أو إجماعٍ أو قياسٍ صحيح فهو باطل.
3. **التحليل الجدلي المقنع:** يعتمد في نقاشه على ترتيب الحجة، من المقدمات إلى النتائج، دون انفعالٍ أو انحيازٍ مذهبي.
4. **الوسطية في الحكم على المخالف:** فهو لا يميل إلى تكفير المخالفين إلا بعد قيام الدليل، ويُحذّر من التساهل في إطلاق الأحكام على الناس. يقول: "التسرع في التكفير باب فتنةٍ عظمى، لا يسلم منه إلا من ضبطه العلم والورع"[2].
5. **استخدام البرهان الوجودي الأخلاقي:** يربط الكشميري بين الإيمان والسلوك، ويرى أن فساد الأخلاق علامة على ضعف الإيمان، لأن العقيدة الحقّة تنتج سلوكًا قويمًا.

أظهر هذا المبحث أن الإمام أنور شاه الكشميري اعتمد منهجًا متكاملًا في الرد على الإلحاد، يقوم على التوازن بين النص والعقل، ويضبط الحكم على الأقوال والمعتقدات بميزان "ضروريات الدين".

---

(1) المرجع سابق– ص53.

(2) مرجع سابق– إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص61.

ويمثل هذا المنهج نقلة نوعية في الفكر العقدي الإسلامي الحديث، إذ يجمع بين المنهج النقلي للسلف والمنهج العقلي للفلاسفة الإسلاميين، ويقدّم أساسًا علميًا يمكن تطويره لمواجهة الإلحاد الحديث الذي يعتمد على العلم والمادية والإنسانوية.

المبحث الثالث: الإلحاد القديم والمعاصر في ضوء منهج الإمام أنور شاه الكشميري

توطئة:

تُعدّ ظاهرة الإلحاد من الظواهر الفكرية المتجددة التي تختلف في أساليبها وحججها باختلاف العصور، لكنها تشترك في جوهر واحد هو إنكار المرجعية الإلهية والتمرد على الوحي.

ولئن كانت موجة الإلحاد في العصور القديمة محدودة النطاق ومحصورة في الجدل الفلسفي حول أزلية العالم أو العلة الأولى، فإن الإلحاد في العصر الحديث والمعاصر اتخذ شكلًا مؤسسيًا عالميًا، يتغذّى من المادية والعلم التجريبي، ويرتبط بمنظومات فكرية كالعَلمانية والوجودية والداروينية.

ومن هنا تأتي أهمية استحضار منهج الإمام أنور شاه الكشميري في هذا السياق، إذ يقدم نموذجًا أصيلًا يجمع بين الأدلة النقلية والعقلية والجدلية، ويملك أدواتٍ علميةً قابلة للتوظيف في تحليل ظاهرة الإلحاد الحديث ونقدها.

المطلب الأول: الإلحاد الفلسفي القديم – خصائصه وموقف الكشميري منه

أولًا: الخصائص العامة للإلحاد الفلسفي القديم

الإلحاد القديم، أو ما يسميه العلماء "الدهرية"، كان يقوم على الفكرة القائلة بأن العالم قديم أزلي، وأنه لا يحتاج إلى خالق أو مدبّر. وقد تجسدت هذه الرؤية في فلسفات أبيقور وأرسطو وبعض فلاسفة اليونان، ثم تبناها بعض الملاحدة في الحضارات اللاحقة. ويرى هؤلاء أن القوانين الطبيعية وحدها كافية لتفسير الوجود.

كما ظهر في الحضارة الإسلامية من تبنّى نزعات مشابهة، كـ"الزنادقة" و"الباطنية" الذين حاولوا إفراغ الدين من معناه الموضوعي، وتأويل النصوص تأويلًا رمزيًا باطنيًا.

وقد ردّ علماء الإسلام على هؤلاء منذ القرون الأولى، ومن أبرزهم ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل، والغزالي في تهافت الفلاسفة، وابن القيم في شفاء العليل.

ثانيًا: موقف الإمام الكشميري من هذا النمط من الإلحاد

كان الكشميري امتدادًا لهؤلاء الأئمة في منهجهم النقدي، لكنه أضاف عمقًا في التحليل اللغوي والمنطقي. فهو لا يكتفي ببيان فساد قول الدهريين، بل يبيّن أن قولهم يتناقض مع "الفطرة العقلية السليمة"، لأن وجود النظام الكوني المحكم لا يمكن أن يُفَسَّر إلا بإرادة حكيمة.

ويقول: "الدهريون يزعمون أن الأشياء وجدت بلا خالق، ولكن عقولهم تشهد عليهم بأن الفعل لا بد له من فاعل، وأن العدم لا يُنتج وجودًا"[1].

ويرى أن الرد على الإلحاد الفلسفي يجب أن يجمع بين الدليل النقلي والدليل العقلي، لأن الاكتفاء بأحدهما يؤدي إلى خللٍ في الحجة. فهو يقرر أن النصوص القرآنية لم تكتفِ بالأمر بالإيمان، بل دعَت إلى النظر والتفكر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس: 101.

المطلب الثاني: الإلحاد الحديث – المادي والعلموي

أولًا: الإلحاد المادي والعلموي في العصر الحديث

مع صعود الثورة العلمية في أوروبا، ظهر تيار جديد من الإلحاد يربط الوجود بالعلم التجريبي، ويجعل من المادة أساس كل شيء. وقد عبّر عن هذا الاتجاه كارل ماركس الذي اعتبر الدين "أفيون الشعوب"، وفرويد الذي فسّر الإيمان بأنه حالة نفسية، وداروين الذي قدّم تفسيرًا ماديًا للحياة يقوم على التطور الطبيعي. هذا الإلحاد العلموي يرى أن الإنسان يمكنه تفسير الكون دون اللجوء إلى فكرة الإله، وأن القوانين الفيزيائية تكفي لتفسير كل ظاهرة.

وقد لقي هذا الاتجاه رواجًا كبيرًا في القرن العشرين، حتى صار بعض العلماء – مثل ريتشارد دوكينز وستيفن هوكنغ – رموزًا للإلحاد الحديث.

ثانيًا: أوجه التشابه والاختلاف بين الإلحاد القديم والحديث

المقارنة	الإلحاد القديم	الإلحاد الحديث
الأساس الفكري	فلسفي ميتافيزيقي	علمي مادي تجريبي
أداة البرهان	الجدل المنطقي	العلم والتجريب

(1) مرجع سابق– إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص39.

مجال النقاش	الوجود والخلق	أصل الإنسان والطبيعة
المرجعية	الفلسفة	العلم الطبيعي
طبيعة الإيمان المرفوض	الوحي والإله	الغيب والدين عمومًا

يتضح من هذا الجدول أن الإلحاد المعاصر أوسع نطاقًا، لأنه لا يكتفي بإنكار الخالق، بل ينفي كل بعد غيبي، ويحاول تفسير القيم والأخلاق تفسيرًا مادّيًا صرفًا.

ثالثًا: نقد الكشميري لهذا الاتجاه

على الرغم من أن الكشميري لم يعاصر الإلحاد العلموي بصيغته الحديثة، إلا أن منهجه التحليلي يصلح للرد عليه.

فهو يرى أن العقل وحده لا يكفي لإدراك الحقائق الغيبية، وأن العلوم التجريبية محدودة بحدود المادة. وقد كتب في موضعٍ من كتابه: "لو كان العلم المجرّد عن الوحي كافيًا لهداية البشر، لما احتاجت الأمم إلى أنبياء، ولكن الله أرسل الرسل لتكميل العقل بالوحي"[1].وهذا القول يعكس رؤية معرفية عميقة تنفي استقلال العقل عن الوحي، وتُعيد العلاقة بينهما إلى التوازن والتكامل.

رابعًا: تطبيق منهجه على الإلحاد المعاصر

يمكن تلخيص آلية تطبيق منهج الكشميري على الإلحاد الحديث في النقاط التالية:

1. الانطلاق من البراهين القرآنية والعقلية في آنٍ واحد: مثل الاستدلال بالنظام الكوني على الخالق، وباستحالة صدور الوجود عن العدم.
2. نقد النزعة المادية الضيقة: عبر التأكيد على أن المادة لا تفسّر الوعي ولا الأخلاق ولا الغايات.
3. إعادة تعريف العقل: فالعقل عند الكشميري ليس "أداة مطلقة"، بل "وسيلة تابعة للوحي"، يُستنار به لا يُستغنى عنه.
4. الرد الأخلاقي والإنساني: إذ يرى أن الإيمان ضرورة أخلاقية تحفظ القيم، وأن الإلحاد يقود حتمًا إلى العدمية وفقدان المعنى.

(1) مرجع سابق– إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص57.

المطلب الثالث: المنهج المقارن بين فكر الكشميري والمدارس العقدية المعاصرة

أولًا: مقارنة بين الكشميري وأئمة الفكر الإسلامي في الرد على الإلحاد

الإمام	المنهج	الميزة الرئيسة
الغزالي	منهج فلسفي وجداني يعتمد التجربة الإيمانية	إقناع النفس باليقين عبر القلب والعقل
ابن تيمية	منهج نقلي عقلي متين	نقد الفلسفة العقلانية وإثبات التلازم بين النقل والعقل
ابن القيم	منهج وجداني أخلاقي	ربط الإيمان بالسلوك والتزكية
الكشميري	منهج تركيبي تحليلي	الجمع بين النقل والعقل والمنطق الجدلي الحديث

يتّضح أن الكشميري جمع خلاصة التجارب العقدية السابقة، وبلورها في صورة منهج متكامل يجمع الأصالة بالتحليل المنطقي، ما يجعله مؤهّلًا للرد على الإلحاد في مختلف عصوره.

ثانيًا: علاقة منهجه بالخطاب الإسلامي المعاصر

يؤكد عدد من المفكرين المسلمين المعاصرين – مثل عبد الوهاب المسيري وناصر العمر وجعفر شيخ إدريس أن الرد على الإلحاد المعاصر يتطلب خطابًا علميًا عقلانيًا يدمج بين الأدلة النقلية والتحليل الفلسفي. وهذا ما سبق إليه الكشميري قبل قرنٍ من الزمان، حين صاغ رؤيته في كتابه إكفار الملحدين، مؤكّدًا أن "الإيمان ليس انفعالًا عاطفيًا، بل إدراكٌ عقليٌّ قائم على البرهان".

المطلب الرابع: القيم المعرفية والفكرية في منهج الكشميري

يمكن القول إن منهج الكشميري يحمل قيمًا علمية وفكرية تجعل منه إطارًا متجددًا للحوار مع الفكر الإلحادي، ومن أبرز هذه القيم:

1. الواقعية العقلية: الاعتراف بقدرات العقل دون تأليهه.
2. البرهانية النصية: اعتماد النصوص القطعية كأصلٍ في الاستدلال.
3. الوسطية الفكرية: الجمع بين صرامة السلف ومرونة الحوار الفلسفي.
4. المنهج الجدلي الأخلاقي: حيث يوازن بين الحجة والمنهج الدعوي في مخاطبة المخالفين.

يقول في أحد نصوصه: "الحق لا يُدرك بالصراخ، بل بالبرهان، ومن لم يُقنع العقل لم يُصلح الإيمان"[1].

(1) مرجع سابق– إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص63.

أثبت هذا المبحث بأن منهج الإمام أنور شاه الكشميري لا يقتصر على الرد على الإلحاد القديم، بل يتجاوز ذلك ليشكّل إطارًا فكريًا متكاملًا يمكن تطبيقه في نقد الإلحاد الحديث.

فمن خلال الجمع بين الأدلة النقلية والعقلية، ورفض الثنائية المفتعلة بين العلم والإيمان، استطاع الكشميري أن يقدّم منهجًا صالحًا لمواجهة الإلحاد المعاصر الذي يتسلّح بالعلم والمادية والنسبية الأخلاقية.

إنّ القيمة الكبرى في منهجه تكمن في كونه منهجًا توازنيًا يعيد إلى الخطاب الإسلامي هيبته العلمية، ويربط بين الوحي والعقل في مواجهة نزعة "اللامعنى" التي يروّجها الإلحاد الحديث.

المبحث الرابع: الإفادة من منهج الإمام أنور شاه الكشميري في معالجة الإلحاد المعاصر

توطئة

مع تنامي التيارات الإلحادية في العالم المعاصر، خصوصًا في البيئات الإسلامية المتأثرة بالعولمة الرقمية والثقافة الغربية، أصبحت الحاجة ماسة إلى نموذجٍ عقديٍّ أصيلٍ يجمع بين العمق العلمي والقدرة على الإقناع العقلي.

ويمثل منهج الإمام أنور شاه الكشميري في كتابه إكفار الملحدين في ضروريات الدين أحد أهم النماذج القابلة للتوظيف في هذا الميدان، لما يتّسم به من اتزانٍ فكريٍّ وتكاملٍ منهجيٍّ بين الأدلة النقلية والعقلية، وبين العلم والدعوة.

المطلب الأول: الأسس التي يمكن توظيفها من منهج الكشميري

أولًا: الجمع بين النص والعقل في الحوار العقدي:

يؤكد الكشميري أن الدفاع عن العقيدة لا يقوم على النقل وحده، بل لا بد من تحريك العقول قبل استحضار النصوص. وهذه القاعدة تصلح أساسًا للحوار مع غير المؤمنين في عصرٍ يعظّم المنهج التجريبي والعقلانية.

فالرد على الإلحاد اليوم يحتاج إلى ما يُسمّى "البرهان المركب" الذي يمزج بين الدليل العلمي والبرهان القرآني في آنٍ واحد. وقد دعا الكشميري إلى هذا المنهج حين قال: "لو سلك الناس مسلك التفكر في خلق الله كما أمرهم القرآن، لما وجد الإلحاد إلى قلوبهم سبيلًا"[1].

(1) مرجع سابق– إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص68.

ثانيًا: ترسيخ مفهوم الفطرة كبرهان على وجود الله:

يرى الكشميري أن الإيمان ليس فكرة طارئة تُكتسب بالتربية فقط، بل هو غريزة فطرية مركوزة في النفس البشرية. ويستند في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم: 30. وهذا المفهوم يُعدّ مدخلًا قويًا للحوار مع الملحدين في الواقع المعاصر، إذ يمكن توظيفه في النقاشات النفسية والفلسفية الحديثة التي تعترف بـ"النزعة الروحية" لدى الإنسان رغم نكرانها للمقدّس.

ثالثًا: التدرج المنهجي في الدعوة والمناقشة:

يُظهر أسلوب الكشميري في كتابه أن الجدال العقدي يجب أن يسير وفق مراحل متدرجة:

- الفهم العميق للشبهة قبل الرد عليها.
- عرضها بموضوعية دون تهوين أو تهويل.
- تفنيدها بالحجة النصية والعقلية.
- ربط الردّ بالسلوك الإيماني.

وهذا الأسلوب الدعوي المنهجي يمكن أن يُعتمد في المناظرات الفكرية والبرامج الإعلامية ومناهج التعليم الديني لمواجهة الخطاب الإلحادي بهدوءٍ وحكمة.

المطلب الثاني: تطبيقات منهج الكشميري في الواقع الفكري المعاصر

أولًا: في ميدان التعليم الديني والجامعي:

ينبغي إدماج منهج الكشميري في مقررات العقيدة والفكر الإسلامي في الجامعات، باعتباره نموذجًا تجديديًا في علم الكلام يجمع بين الأصالة والتحليل. ويمكن أن تُقدَّم دراسته ضمن وحدات "الرد على الشبهات الفكرية" أو "الفكر الإسلامي المعاصر"، بحيث يدرَّس الطالب كيفية الاستدلال العقلي والنقلي في آنٍ واحد.

ثانيًا: في ميدان الإعلام والحوار الثقافي:

يُظهر واقع الإعلام الرقمي أن كثيرًا من الطروحات الإلحادية تنتشر عبر شبكات التواصل الاجتماعي، ويواجهها الخطاب الديني التقليدي بصيغٍ إنشائية غير مقنعة. من هنا يمكن توظيف منهج الكشميري القائم على البرهان والحجة لتصميم برامج توعوية تستند إلى:

- تفكيك الخطاب الإلحادي العلمي.
- إبراز قصور المادية في تفسير الوعي والقيم.

- عرض الأدلة القرآنية بلغة منطقية مقنعة.

ثالثًا: في مجال الدعوة والحوار الديني:

من أبرز ما يميّز الكشميري أنه جمع بين الحزم العقدي والرحمة الدعوية، فلم يكن في خطابه إقصاءٌ أو تعالٍ على المخالف، بل كان يخاطب العقول بالحكمة والموعظة الحسنة. وهذه الروح الدعوية تمثل اليوم ضرورة في مواجهة الإلحاد، إذ يتأثر كثير من الملحدين بأزمات نفسية واجتماعية أكثر من تأثرهم بالشبهات الفكرية. لذا فإن الجمع بين البرهان والحوار

الإنساني هو تجسيد عملي لمنهجه.

رابعًا: في ميدان البحث العلمي والفكر الإسلامي:

يمكن الإفادة من منهج الكشميري في بناء مشاريع بحثية معاصرة تعيد صياغة علم العقيدة بلغة عقلانية حديثة.

ومن أهم المحاور التي يمكن تطويرها:

- التكامل بين النقل والعقل في الفكر الإسلامي الحديث.
- الرد على المادية الجديدة في ضوء منهج الكشميري.
- تحليل مفهوم ضروريّات الدين في مواجهة النسبية المعاصرة.

المطلب الثالث: ملامح خطاب عقدي تجديدي مستلهم من الكشميري

إن إعادة تفعيل فكر الإمام الكشميري في زمننا تقتضي الانتقال من مجرد دراسة تراثه إلى تطبيق منهجه، وهو ما يتطلب تطوير خطاب عقدي معاصر يقوم على الأسس التالية:

1. الوضوح المنهجي: بيان العلاقة بين الإيمان والعقل بلغة علمية منضبطة.
2. المعاصرة الفكرية: الاستفادة من نتائج العلوم الحديثة في تأكيد دلائل الإيمان، كما في علم الفيزياء الكونية والبيولوجيا الدقيقة.
3. الربط الأخلاقي بالإيماني: توضيح أن الإيمان ليس فكرة نظرية، بل منظومة قيم تحفظ كرامة الإنسان.
4. الاستيعاب الثقافي: فهم السياق النفسي والاجتماعي للملحد قبل محاورته.
5. تجديد علم العقيدة: تحويله من دروس نظرية إلى منهج عمليٍّ للحياة والسلوك.

ويؤكد الكشميري في هذا السياق قوله: «لا يستقيم علم العقيدة إلا إذا أثمر عملاً وسلوكًا، فالإيمان الحقّ يُترجم إلى خُلقٍ واستقامةٍ»[1].

المطلب الرابع: تحديات الإفادة من منهجه في العصر الرقمي

على الرغم من أهمية منهج الكشميري، إلا أن تطبيقه في عصر الإلحاد الرقمي يواجه عددًا من التحديات، من أبرزها:

1. الفجوة اللغوية والمعرفية بين لغة التراث ولغة الجيل الرقمي.
2. هيمنة الخطاب العلموي الغربي الذي يحتكر "البرهان التجريبي" ويقصي الغيب.
3. ضعف التكوين الفلسفي والمنطقي لدى الدعاة والمفكرين الإسلاميين المعاصرين.
4. غياب المؤسسات البحثية المتخصصة في دراسة الإلحاد علميًا وميدانيًا.

ولذلك، فإن الإفادة من منهج الكشميري تتطلب مشروعًا متكاملاً يشمل:

1- إعداد باحثين في العقيدة يجيدون لغة المنطق والعلم الحديث.

2- إنشاء مراكز بحثية للحوار بين العلم والإيمان.

3- إنتاج محتوى إعلامي يقدّم الإيمان ببرهانٍ معاصرٍ بلغة يفهمها الجيل.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن الإمام أنور شاه الكشميري قدّم في كتابه إكفار الملحدين في ضروريات الدين نموذجًا فريدًا في المنهج العقدي المتكامل الذي يجمع بين الأصالة والحداثة.

وقد أثبتت الدراسة أنَّ منهجه يقوم على ثلاثة أعمدة رئيسة:

1. البرهان النقلي القرآني والنبوي.
2. التحليل العقلي المنطقي.
3. المنهج الجدلي الأخلاقي الدعوي.

ومن خلال هذه المقومات استطاع أن يضع أساسًا معرفيًا متينًا لمواجهة الإلحاد القديم والمعاصر، وهو أساس ما زال صالحًا للتطبيق في ميادين الفكر والإعلام والتعليم.

كما أكّدت الدراسة أنَّ الإفادة من منهج الكشميري في العصر الحديث تتطلب تجديد عرض العقيدة بلغة علمية ومنطقية، وإعادة بناء الخطاب الإيماني بما يتناسب مع تحديات الإلحاد الرقمي والمادية الجديدة.

(1) مرجع سابق- إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص72.

وختامًا، يمكن القول إن الإمام الكشميري كان سابقًا لعصره، إذ قدّم مشروعًا معرفيًا متوازنًا بين الوحي والعقل، وهو ما يجعل فكره منطلقًا لتأسيس علم كلامٍ جديدٍ يجمع بين الإيمان والعقلانية، ويحاور الفكر الإلحادي بروحٍ علميةٍ راشدةٍ تحفظ ثوابت الدين وتواكب تطورات الفكر الإنساني.

كما يُبرز هذا البحث أن الإمام أنور شاه الكشميري لم يكن مجرد محدّث أو فقيه، بل مجدّد في المنهج العقدي والفكر الإيماني، قدّم رؤية علمية قادرة على التجاوب مع أزمات الفكر الحديث.

إنّ إعادة قراءة تراثه وتطبيق منهجه في التعليم والدعوة والفكر تمثل خطوة نحو إحياء علم العقيدة بصيغته الإنسانية والعقلانية، وتجعل الإسلام حاضرًا في ميدان الحوار الحضاري والعلمي المعاصر.

النتائج والتوصيات التطبيقية

أولًا: نتائج البحث

1. **منهج الإمام الكشميري يقوم على التكامل بين النقل والعقل:** فقد أثبت البحث أن الكشميري لم يقم تعارضا بين الوحي والعقل، وعدَّ العقل أداة لفهم النصوص لا حاكمًا عليها. وبذلك تجاوز الصراع المصطنع بين "العقلانيين" و"النقليين".
2. **اعتماده على مفهوم "ضروريات الدين" كميزان منهجي:** حدّد الكشميري إطارًا موضوعيًا لمعنى الإيمان والكفر، فربط التكفير بإنكار الضروري بعد قيام الحجة، مما جعل منهجه وسطًا بين الإفراط والتفريط في مسائل الحكم على الناس.
3. **رؤيته في الرد على الإلحاد شمولية ومركّبة:** جمع بين البرهان القرآني، والفطري، والعقلي، والعلمي، واستند إلى الأدلة الكونية والنظام الوجودي لإثبات الخالق، وهي طريقة توافق متطلبات الفكر الحديث.
4. **منهجه يصلح لبناء خطاب عقدي معاصر:** تحليل نصوصه يبيّن أن منطقه البرهاني ولغته المتزنة تجعلان من فكره مادة تأسيسية لعلم كلامٍ جديدٍ يجمع بين الأصالة والمنهج العلمي.
5. **تأكيده على البعد الأخلاقي للإيمان:** يرى الكشميري أن العقيدة ليست مجرد قضايا فكرية، بل هي أساس السلوك والتهذيب، وأن ضعف الإيمان يؤدي إلى فساد الأخلاق وانتشار الإلحاد.
6. **قيمة فكره في مواجهة الإلحاد الحديث:** يظهر من تحليله أنه قدّم أدوات فكرية تصلح لمناقشة المادية، والوجودية، والعلموية، والنزعة النسبية، وهي التي تشكّل جوهر الإلحاد المعاصر.

ثانيًا: التوصيات التطبيقية

1. **إدماج منهج الكشميري في مناهج التعليم الجامعي والديني:** يُقترح تدريس كتاب إكفار الملحدين ضمن مقررات "الفكر الإسلامي" و"الرد على الشبهات العقدية" لتدريب الطلبة على التفكير البرهاني المنضبط.
2. **تطوير برامج تدريبية للدعاة والمفكرين:** تشمل دراسة منهج الكشميري كنموذج عملي في الحوار العقلي مع الملاحدة، مع التركيز على فنّ الجدل الهادئ والإقناع بالمنطق.
3. **إطلاق مراكز بحثية متخصصة في دراسة الإلحاد المعاصر:** تعمل على تحليل الظاهرة علميًا واجتماعيًا ونفسيًا، وتستفيد من تراث العلماء كالكشميري في بناء مقاربات فكرية حديثة.
4. **تعزيز الخطاب الإعلامي الإسلامي العلمي:** عبر إنتاج محتوى رقمي يعتمد البرهان القرآني والعلمي معًا، ويُقدَّم بلغة مبسطة للشباب، مستلهمًا المنهج الحواري المتزن للكشميري.
5. **تشجيع الدراسات المقارنة:** بين فكر الكشميري وأعمال مفكرين معاصرين مثل المسيري، جعفر شيخ إدريس، أو حتى مدارس الفكر الغربي، لإظهار تفوق الرؤية الإسلامية في الجمع بين الإيمان والعقلانية.
6. **إعادة كتابة علم العقيدة بأسلوب منهجي معاصر:** يقوم على البرهان والتأمل العلمي لا على التلقين، متخذًا من تجربة الكشميري نموذجًا للتجديد العلمي الرصين.
7. **التأكيد على البعد الأخلاقي في مواجهة الإلحاد:** فالإيمان ليس قضية فكرية فحسب، بل تربية وجدانية وسلوك إنساني يملأ فراغ الروح الذي تركته المادية الحديثة.

قائمة المراجع :

1. ابن تيمية، تقي الدين(1401هـ) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الامام، الرياض.
2. ابن فارس، أحمد(1972م) مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت.
3. أبو الحسن الندوي، علي (1999م) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم، دمشق.
4. بدوي، عبدالرحمن(1980م) دراسات في الفلسفة الوجودية، دار الثقافة، بيروت.
5. التهانوي، أشرف علي (1930م) التوطئة في بيان التوحيد، دار العلوم ديوبند، الهند.
6. زكربا فؤاد، التفكير العلمي(1983م) عالم المعرفة، القاهرة.

7. العمر، ناصر بن سليمان (2019م) الإلحاد المعاصر: أسبابه، مظاهره، وسبل مواجهته، مركز تكوين، الرياض.
8. الكشميري، أنور شاه (1415هـ) إكفار الملحدين في ضروريات الدين، مطبعة دار العلوم، باكستان.
9. اللكنوي، عبد الحي (1999م) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، دار الكتب العلمية، بيروت.
10. محمد زيد ملك(2006م) الشيخ محمد أنور شاه الكشميري محدثًا، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.
11. محمد شكيب قاسمي(2016م) جهود الإمام أنور شاه الكشميري في السنة وعلومها: دراسة تحليلية نقدية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور.
12. المسيري، عبد الوهاب (2006م) رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر، دار الشروق، القاهرة.